الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لا تتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

كلام جرائد

عبد الرزاق رشيد الناصري
كاتب

الامثلة والاقوال الشعبية، المأثورة هي حاصل تجربة وخبرة، انسانيتين عميقتين. وهي عصارة تلكما، التجربة والخبرة، وجوهرهما الحي وهي في الاغلب الاعم، تكون إما مشوبة، بسخرية لاذعة، وفكاهة مريرة او ان تكون نوعاً من التعلة والعزاء، يمكن ان تعوض فداحة الشعور، بالخيبة والخسران او تعمل على تطمين الهواجس القلقة، وتهدئة المخاوف.
وهي في كل الاحوال نوع من الدفاع عن النفس، غريزي واجتماعي أي انها شكل من اشكال المقاومة، والرفض، والتمرد ضد كل ما هو غاشم ومتعسف.
والقول الشعبي المشهور "حجي جرايد" واحد من هذه الاقوال الشعبية، المعبرة، عن السخط، وفقدان الرجاء!!
ففي كل قضية، حساسة، مثيرة، بالنسبة لاغلبية الناس، الذين يتابعونها، يوماً بيوم، من خلال، الاخبار، والتصريحات، والتي تنتهي عادة، بلا شيء، حينها ينكفئ الناس، على وجوههم، وينكصون على اعقابهم وهم يرددون –حجي جرايد– وهكذا اصبح هذا القول، اختصاراً لفقدان الثقة، والخيبة، وضياع الصدقية في اخبار (الجرايد).
واذا سألنا عن الاسباب، لابد من ان نقف على حقائق مؤلمة كثيرة، كانت وما زالت، وراء هذه الاسباب لعل من اهمها فقدان الضوابط والدقة في التعامل مع الاخبار، والتصريحات، والمقالات، وحتى الدراسات، ذات الصلة بالموضوع.
وفقدان الضوابط يأتي من هاجس انائي نفعي، يحاول الكسب السريع واحتياز الاولوية، في الساحة، اية ساحة، اقتصادية، او سياسية او اجتماعية، او صحية.
ومن صفات فقدان الضوابط، هو الاسراف في اغداق الوعود والتعهدات والتطرق في ادعاء النزاهة، والتجرد من الغرض، وكذلك في اصطناع تواضع زائف، وبساطة مشبوهة، وهذا كله يرافق التعهدات والوعود ويمتزج معها في معروفة، نشاز خرقاء.
حينذاك يرتفع الصوت بقول:- "حجي جرايد"!!
وربما صار هذا القول الشعبي، عقبة كأداء، امام الحقائق، والتي عادة ما تكون خجولة مرتبكة، محشورة، وسط فيض من "حجي الجرايد" وهذا الامر، يتبدى واضحاً في الطرف الاول، والذي هو مصدر التصريحات والتعهدات والوعود.
ويبدو واضحاً كذلك، انعكاسه المباشر، على وسائل التوصيل والاعلام، وخاصة (الجرايد).
فالجريدة هي الاخرى، باعتبارها طرفاً ثانياً، متلقياً، تضطلع مع الطرف الاول في تواطؤ معلن وصريح، فهي تروج للتصريحات باساليب مثيرة مستفزة لكسب القراء، والفوز بالسبق الصحفي، من دون التريث، والتدقيق في المضامين، التي قد تبدو في اغلب الاحيان، خيالية، او خرافية..!
ويمكن للجريدة المنضبطة، والدقيقة، ان تنقل الخبر بصيغة حذرة، او متشككة هادئة من دون جعجعة، وتطبيل لكي لا تكون ردة الفعل عند القائ، فيما بعد، شديدة صادمة، وعندها تتعزز لديه مقولة "حجي جرايد" ولكن كيف يمكن، للجريدة، ان تتواصل مع الحقائق، بحيادية وجرأة وان تقف نداً للقراء في محنتهم القاسية وهي في ذات المغطس؟
بل اكثر من ذلك، قد تعمل الجريدة، على اغراء المسؤول، بالاطناب والاسراف والجعجعة التي بلا طحين أي ان المسؤول اولاً والقراء ثانياً سيكونون ضحايا تلك الجريدة وهذا يكاد يكون من البديهيات في اوقات الازمات واشتداد الضغوط وهو يتكرس مع الوقت سلوكاً وممارسة عبر القنوات الاعلامية غير الملتزمة.
اخيراً، كيف يمكن قلب المعادلة أي ان يكون "حجي الجرايد" هو الفيصل في النزاعات والتوقعات، وان يكون مصدر الحقيقة والمنفعة المتحصلة؟
ربما يبدو الامر بسيطاً للنظرة السطحية الساذجة كأن يوجه النصح والارشاد لهذه الجريدة او تلك ولكن القضية اشد تعقيداً وابلغ صعوبة، لأنها قضية تتجاوز الايديولوجيات والانتماءات والمنافع المتبادلة وترقى الى صفة المبادئ، الاخلاقية السامية، تلك التي تقف على ارضية واقع، متماسك، مستقر، نسبياً، واقع مؤسسات ومنظمات ديمقراطية، ومرجعية دستورية ثابتة واقع يمتلك فيه الفرد الحرية، والوعي والمسؤولية، ويتمتع بحصانة ومنعة قانونية تكفل له الحضور الفعال، والتطور الذاتي السليم، واقع ينتفي فيه القهر والتسلط، والطائفية، والعنصرية، وكل اشكال الاستلاب التي تحكم بالدمار والمحق على اية مبادرة ابداعية ونشاط فكري.
حينذاك تنهض (الجرايد) بمهماتها التنويرية، وارشاداتها التربوية، وتغدو مع الايام، ملاذاً ومرجعاً للمواطن البسيط، وتعفيه، او تنسيه قول "حجي جرايد"

تداعيات عمل حلف الأطلسي خارج نطاق إقليمه الجغرافي

د.عماد علو
كاتب وباحث

المقدمة

إن النقطة المركزية في معاهدة حلف شمال الأطلسي الناتو NATOمازالت دائما هي التزام الأعضاء بنص المادة الخامسة من المعاهدة الموقعة في واشنطن عام ١٩٤٩ التي اعتبرت كل هجوم ضد أي دولة أو عدد من الدول الأعضاء هجوما موجها ضد الحلف الذي يجب أن يتخذ كل الإجراءات التي يعتبرها ضرورية بما فيها استخدام القوة العسكرية من اجل إعادة وضمان الأمن في منطقة الأطلسي وان نطاق الإقليم المحدد حمايته من خلال الالتزام بنص هذه المادة قد حددته بشكل واضح وصريح المادة السادسة من المعاهدة والذي لا يشمل كما هو مثبت منطقة البلقان والشرق الأوسط وشمال أفريقيا . وان المادة الخامسة نصت على الالتزامات تجاه مجلس الأمن (إطلاع مجلس الأمن على الإعمال التي يقوم بها الحلف وفقا للمادة الخامسة من المعاهدة) ، إلا إن ما حصل في يوغسلافيا السابقة من تدخل للناتو قد فتح الطريق لإثارة سلسلة من المشاكل التي يواجهها الحلف في النشاطات العسكرية والتي يمكن أن يدعى للقيام بها خارج نطاق الإقليم المحدد بموجب معاهدة تأسيس الحلف –خصوصا بالنسبة للأمريكيين –الذين يسعون لترسيخ هذه القاعدة خدمة لمصالحهم المتنامية في العالم والدور الذي يطمحون للقيام به على الصعيد العالمي .إلا أن معظم الأوروبيون يصرون على أن شرعية استخدام القوة ضد دولة ذات سيادة من دون تفويض من الأمم المتحدة أمر غير مقبول ،وانه ليس هناك عضو في الناتو مجبر على المشاركة في مثل هذا العمل العسكري من خلال المعاهدة. إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية من خلال طرحها مفهوم جديد هو(المجموعة المسلحة المتعددة الجنسيات (GFIMطرحت عنصرا جديدا ومهما في إعادة بناء الهيكلية العسكرية للناتو والتي تقضي بإمكانية الانتشار (خارج نطاق الإقليم)من اجل مهمات (دعم السلام).ولكنها في ذات الوقت أوجدت صدعا في وحدة المواقف والتجانس إزاء سياسات الولايات المتحدة في العالم وقد تجلى هذا الخلاف بين أعضاء الناتو في مواقفها من الحرب الأمريكية على العراق الذي تورطت به دول من داخل الحلف في حين عارضته دول أخرى من داخله بشدة وصلت لحد التجريح بالكلام والانتقاد اللاذع لاسيما من قبل ألمانيا وفرنسا لأعضاء الناتو الذين انساقوا وراء واشنطن في حربها على العراق . والسؤال المطروح هو إلى أين يتجه الناتو بعد خروج عدد من قوات دول الحلف للمشاركة في حروب أمريكية خارج نطاق الإقليم الجغرافي للحلف ؟

تأسيس حلف شمال الأطلسي

تأسّس حلف شمال الأطلسي المعروف باسم (NATO - وهي دلالة للحروف الأربعة التي ترمز لاسمه North Atlantic Treaty Organization) في نيسان عام ١٩٤٩م، في أعقاب الحرب العالمية الثانية وفي أثناء تصاعد الحرب الباردة ، وقد وقّع على تأسيس الحلف (١٢) دولة أوروبية، إضافة إلى كندا والولايات المتحدة الأمريكية ، وأصبحت العضوية حتى بداية عام ٢٠٠٤م، وبعد التوسيع الأولي لتشمل (١٩) دولة هي: (الولايات المتحدة، وكندا، وبلجيكا، ولوكسمبورج، والدانمرك، وفرنسا، وأيسلندا، وإيطاليا، وهولندا، والنرويج، والبرتغال، وأسبانيا، وبريطانيا، وتركيا، واليونان، وألمانيا، وبولندا، والمجر، والتشيك) . وقد شهد حلف الأطلسي (الناتو) منذ تأسيسه عام ١٩٤٩ العديد من الصراعات الداخلية والتي كانت نتيجة للمصالح المختلفة ، حيث انه انقسم بسبب المسائل المتعلقة بالهيكلية الخاصة لقيادة الحلف وتسليحه وكذلك بسبب المسائل المتعلقة بالسياسة العسكرية الإستراتيجية العليا ، التي تبناها بصدد التهديد الذي فرضه الاتحاد السوفيتي على أوربا وحدها ، ومن ثم على الولايات المتحدة ، وشهد الحلف الصراعات التي اندلعت بين الجنرال ديغول وواشنطن وكذلك بين رونالد ريغان وحلفائه الأوربيين وما بين الأوربيين أنفسهم .إلا أن عدم الاتفاق بين أمريكا وفرنسا بصدد المشاكل المختلفة والمعلقة مثل الحرب على العراق وتبعية بريطانيا غير المشروطة للسياسة الأمريكية ، مازال قائما حتى اليوم، إضافة إلى ذلك فان عدم التطابق في وجهات النظر والذي يتعلق بدور الأسلحة النووية وشروط استخدامها المحتملة وامتلاك بعض الدول هذه الأسلحة مثل الهند وباكستان وإيران اليوم ،كلها اختلافات تعصف بالحلف ولكنها لا تبدو غير قابلة للحل أو التسوية وهي بالتأكيد لا تبدو أنها تهدد التجانس السياسي أو القوة العسكرية لحلف شمال الأطلسي ، الذي يبدو انه يجري حثيثا" وراء الولايات المتحدة الأمريكية في توسعها شرقا" في إضافة إستراتيجية لتدخله في بلدان الجنوب الواقعة بعيداً عن حدود نطاق نفوذه الجغرافي التقليدي، وقد يكون هذا الدور المتشعب لحلف الأطلسي في الفترة الأخيرة مستغرباً، إلاّ أنه مع تفكك الاتحاد السوفيتي السابق مع بداية عام ١٩٩٠م، وحلف وارسو، تعاظم دور حلف الأطلسي، واستغلته الولايات المتحدة الأمريكية في صعودها كقوة عظمى وحيدة للسيطرة والهيمنة على العالم .فاندفع الناتو وراء طموحات واشنطن فيما وراء نطاق إقليمه الجغرافي التقليدي لينفذ مهام إستراتيجية جديدة لم يكن أعضاؤه قد فكروا في تنفيذها عند تأسيسه عام ١٩٤٩ وهذا الأمر يدفعنا لاستذكار كلمات الأمين العام الأول لحلف شمال الأطلسي بعد تأسيسه عام ١٩٤٩م قوله: إنّه قام من أجل (إبقاء الأمريكيين في الساحة –أي الأوروبية– وإخراج السوفييت منها، والحفاظ على بقاء الألمان في الحضيض). وقد خرج السوفييت وشيوعيتهم من الساحة العالمية لا الأوروبية فقط ، وتحولت ألمانيا إلى قوة دولية فاعلة مندمجة في العالم الغربي وباتت تتحرّك على أعلى مستويات صناعة القرار الدولي ، أما هدف إبقاء الأمريكيين في الساحة فهو الذي تحوّل إلى هدف ترسيخ هيمنتهم بعد عسكرتها على المستوى العالمي وليس في أوروبا فقط ، مع محاولة الانفراد بصناعة القرار عالميا ، وذلك ما يزيد من ثغرة الاختلاف في اتجاه نزاع محتّم بين جانبي المحيط الأطلسي .

تبنى إستراتيجية جديدة

كان الهدف الأساسي للحلف هو الدفاع عن الدول الأعضاء ضمن نطاق الإقليم الجغرافي للدول المنضوية تحت لوائه ضد أي هجوم تتعرض له قواتها ، أو سفنها ، أو طائراتها داخل هذه الأراضي، إضافة إلى المساعدة المتبادلة والتنسيق السياسي . إلا أن الولايات المتحدة سعت إلى حث دول الحلف إلى تبنى إستراتيجية جديدة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والحرب على العراق عام ١٩٩١، ينتقل الحلف من خلالها من مرحلة الدفاع عن أراضي دول الحلف إلى الدفاع عن المصالح المشتركة خارج أراضيها ، أي الهجوم والمبادأة بالعمل ضد أي أخطار تهدد هذه المصالح في أي مكان، مع إحكام الحصار على روسيا وإجهاض أي محاولة لإعادة بناء تحالف لها في داخل أوروبا، أو على حدودها، مع توسيع النطاق الجغرافي لعمل الحلف بقبول عضوية دول أخرى من أوروبا الشرقية (انظر صحيفة النيويورك تايمز في عددها الصادر يوم ٢٥ أبريل ١٩٩٩م) . وجاءت الإستراتيجية الجديدة للحلف – بإشارتها للاستعداد نحو التدخل لمواجهة النزاعات العرقية والإقليمية خارج نطاق دول الحلف – لتؤكد المخاوف الدولية من أن الحلف يتجه لإحلال نفسه محل مجلس الأمن الدولي ، وعلى اعتبار نفسه مجدداً للشرعية الدولية بالطريقة التي تحدد مصالحه بالأساس ، وهو ما برز واضحاً خلال أزمة البلقان عام ١٩٩٩م واحتلال العراق عام ٢٠٠٣ . وبهذا اندفع الناتو ليعمل خارج نطاق إقليمه الجغرافي وفق إستراتيجية جديدة أهدافها المعلنة ما يلي :

١- العمل على توفير مناخ أمن أوروبي أطلسي مستقر.
٢- توفير إطار أطلسي أساس لدول الحلف ، لإجراء مشاورات حول أي مسألة تمس مصالحهم الحيوية.
٣- القيام بوظيفة رادعة ودفاعية أمام أي تهديد بعدوان يستهدف أي دولة من دول الحلف.
٤- البقاء على أهبة الاستعداد للمساهمة في كل حالة على حدة وبصورة جماعية في الوقاية بفاعلية من النزاعات والمشاركة بنشاط في إدارة الأزمات ، بما يتضمنه ذلك من عمليات للرد على الأزمات.
٥- التشجيع على إقامة علاقات واسعة من الشراكة والتعاون والحوار مع دول المنطقة الأوروبية والأطلسية الأخرى، لتعزيز المكاشفة والثقة المتبادلة والقدرة على العمل المشترك مع الحلف.
٦- تتعهد دول الحلف باستمرار قبول أعضاء جدد، وهو ما تعتبره روسيا تحركاً لحلف الأطلسي تجاه دول الكتلة الشرقية.

إعلان روما

يتضح مما سبق أن الولايات المتحدة الأمريكية قد مهدت لاستخدام الناتو لإغراضها وأهدافها في الهيمنة على العالم من خلال الترويج لمفاهيم جديدة مثل (القوة المتعددة الجنسيات GFIMالشراكة من اجل السلام وإدارة الأزمات) لتبرر تبني الحلف الستراتيجية الجديدة التي تمكنها من استخدام الحلف خارج نطاق إقليمه الجغرافي المتفق عليه ، ولغرض إرضاء روسيا (التي تعتبر نفسها الوريث الشرعي للاتحاد السوفيتي)وتجنّب معارضاتها لتوسيع الحلف شرقا" ، قام الرئيس بوش أواخر شهر أيار ٢٠٠٢م بتوقيع اتفاقية بين روسيا وقادة شمال الأطلسي الـ ١٩، والذي تم بموجبه تشكيل منتدى جديد للتعاون الأمني بين الطرفين، عُرف باسم (إعلان روما)، ويعطي المجلس الجديد الذي يضم دول الحلف وروسيا صوتاً أكبر لموسكو داخل الحلف ، ويتيح للطرفين اتخاذ قرارات مشتركة في بعض المجالات التي تم تحديدها في: (مكافحة الإرهاب، وإدارة الأزمات، وعدم انتشار أسلحة الدمار الشامل، ومراقبة التسلح، والدفاع المضاد للصواريخ الميدانية، والإنقاذ في البحر، والخطط المدنية الطارئة، والتعاون العسكري) على أن يكون المجلس أو المنتدى الجديد منفصلاً عن المجلس الدائم للحلف . ويعتبر المجلس الجديد والذي يسمى: "مجلس الحلف وروسيا" أكثر تطوراً ووضوحاً من المجلس السابق الذي جرى تدشينه عام ١٩٩٧م، والذي كان مجرد إطار شكلي استهدف إرضاء روسيا وتجنّب معارضاتها لتوسيع الحلف ، دون أن يتضمن بالضرورة أية أنشطة حقيقية مشتركة ،وعلى الرغم من أن الاتفاق الجديد يشكل أهمية خاصة لروسيا ، إلا أن واشنطن أرادت من خلاله تحييد موسكو وعدم إعطائها أي مبرر لمعارضة التوسع الأمريكي الأطلسي شرقا" باتجاه مناطق النفوذ السوفيتية السابقة في أوربا الشرقية واتي تجسدت لاحقا" في ٢٩ مارس ٢٠٠٤م ، عندما انضمت إليه سبع جمهوريات جديدة هي: بلغاريا، ورومانيا، وسلوفاكيا، وجمهوريات البلطيق الثلاث: (ليتوانيا، ولاتفيا، واستونيا). وهو ما اعتبرته روسيا مخاطر تهدد أمنها، إذ إن هذا التوسع سيتيح تمركز المقاتلات البعيدة المدى التابعة لحلف الأطلسي على بعد بضعة كيلومترات من الحدود الروسية مع ليتوانيا، إضافة إلى أراضي وأجواء الأعضاء الجدد، مما سيجعل من روسيا مسرحاً للنشاط الاستطلاعي والتجسس للحلف ، وتفاقمت هذه المشاكل عندما أعلنت واشنطن عن نيتها مجددا" بنشر الدرع الصاروخية المضادة للصواريخ على أراضي دول كانت يوما تحت مظلة الحماية السوفيتية.

قوات التدخل السريع لحلف الأطلسي

إن كل توسع في المجال الجغرافي يغطى فعليا من قبل الناتو يتضمن حتما تحديا للتغيرات المتوقعة على صعيد وضمن إطار الاتحاد الأوربي ودوره المستقبلي في العالم . وكل توسع في المهمات والالتزامات يتطلب الأخذ بعين الاعتبار التقيد بميثاق الأمم المتحدة خصوصا نص المادة (٥١)التي تمنح لمجلس الأمن سلطة القرار النهائي حتى في الحالات التي يمارس فيها الحلفاء حقهم بالدفاع الشرعي ،إلا أن الولايات المتحدة وسياستها إزاء الأمم المتحدة التي اتسمت بالغموض قد نجحت على صعيد الناتو في تجاوز والقفز على مسلمة الاتفاق الجماعي على السياسة الخارجية التي اعتاد عليها الناتو لفترة طويلة .إن الشراكة الأوربية الأمريكية ولكي تحتفظ بطبيعتها الملحة و الضرورية في المستقبل لابد أن تذهب إلى تعديل معاهدة شمال الأطلسي حتى لا تصبح دول الاتحاد الأوربي تابعا إستراتيجيا للولايات المتحدة الأمريكية . و يبدو أن واشنطن والاتحاد الأوربي متفقين ضمنيا" على المحافظة على مسافة كافية بين الهيمنة الأمريكية على سياسة الناتو وأهدافه وبين سياسة وعلاقات الاتحاد الأوربي ككيان سياسي مع العالم ، ففي ٣١ آب/ أغسطس ٢٠٠٤م ، كشف النقاب عن أن حلف شمال الأطلسي انتهى من تشكيل قوات عسكرية للتدخل السريع في مناطق الصراعات والأزمات في العالم، قوامها (٤) آلاف ضابط وجندي، وسيتولى قيادتها في مراحلها الأولى الجنرال الهولندي (تون فان لون)، وتقرر أن تبدأ هذه القوات عمليات تدريب عسكرية ومناورات بالذخيرة الحيّة بعد يومين، وذلك في كل من ألمانيا والدانمرك ، على أن تبدأ العمل الرسمي وتكون معدّة للتحرك الفعلي مع بداية العام ٢٠٠٥م ، وقد حددت المهام العملياتية لقوات التدخل السريع الأطلسية بمهام التدخل في عمليات السلام، وحماية قوافل المساعدات الإنسانية للدولة، وقبل هذا، إمكانية شن الحرب على مناطق أو دول تشتعل بها الصراعات والحروب الأهلية. وقد أكدت مصادر بالحلف أن أمريكا قادت ضغوطاً كبيرة لسرعة تكوين هذه القوات، والتي كانت فكرتها مطروحة منذ عام ٢٠٠٢م، وذلك لتكون هذه القوات تحت الأمر الأمريكي للتدخل في العراق أو في أفغانستان في حالة اشتعال الموقف وتصاعد أحداث العنف، وقد تزامن الخروج بجيش الأطلسي للتدخل السريع مع التعجيل الأوروبي بإنشاء الجيش الأوروبي الموحد للتدخل السريع في الأزمات خارج الدول الأوروبية.

الأطلسي و الشرق الأوسط

تعتبر مبادرة اسطنبول للشرق الأوسط الموسع المنبثقة عن قمة الناتو في اسطنبول عام ٢٠٠٤ مكملة لمشروع الولايات المتحدة بإنشاء شرق أوسط كبير،وهي أول إعلان من قبل الناتو عن استعداده للتدخل ودعم المشروع الأمريكي في الشرق الأوسط ، والهدف المعلن من مبادرة اسطنبول هو العمل على المزيد من التعاون مع دول منطقة الشرق الأوسط الموسع، لضمان عدم انتشار أسلحة الدمار الشامل، ومكافحة الإرهاب ، وعمليات التهريب بمختلف أنواعها، كما أنه من الممكن أن يكون هناك تعاون في المجال العسكري مع هذه الدول من أجل أمن وسلامة المنطقة بأسرها . وفي محاولة فرض الشرعية على هذا التحرك، أعلن في مايو/أيار ٢٠٠٤ عن توقيع وزراء خارجية دول الحلف وروسيا اتفاقاً تاريخياً يسمح للحلف بالقيام بدور في منطقة الشرق الأوسط. تبعتها في شهر يوليو ٢٠٠٤م – بعد منح المغرب صفة حليف أساسي من خارج الحلف أجريت مناورات لحلف الأطلسي قبالة السواحل المغربية حملت الاسم الرمزي (ميد شارك)، شارك فيها حوالي عشر دول بإجمالي يبلغ حوالي (٣٠) ألف جندي، و(٣٠) سفينة حربية، وغواصة وحاملات طائرات. وفي شباط/فبراير ٢٠٠٥م، أعلن (شيفر) أمين عام الناتو أن الحلف بدأ الاستعداد للقيام بدور في دعم أي اتفاق لإنهاء النزاع العربي الفلسطيني، أعقبه طرح (خافير سولانا) المنسّق الأعلى للشؤون الأمنية والسياسية بالاتحاد الأوروبي مبادرة وجود قوات دولية من الأمم المتحدة، أو من الاتحاد الأوروبي، أو من حلف الناتو، لتتولى مسؤولية فرض احترام هذا السلام . وفي شهر مارس ٢٠٠٥م ، عُقد في روما اجتماع بين مندوبين عن دول مجلس التعاون لدول الخليج ومندوبين عن حلف الأطلسي ، بهدف تبادل وجهات النظر حول مختلف المسائل الإقليمية المتعلقة بالدفاع والأمن بين الجانبين ، تبعه زيارات مسئولين من الحلف لبعض دول الخليج . وفي شهر يونيو ٢٠٠٥م تم إطلاق مبادرة (الفجر الأسود) ، وهي عبارة عن مبادرة عسكرية لحلف شمال الأطلسي شارك فيها حوالي (٣٠٠) خبير لمكافحة الإرهاب والسلاح النووي بجانب برلمانيين من حلف شمال الأطلسي في إطار اجتماع لمدة خمسة أيام في مدينة (لوبليجانا) السلوفينية ، لإيجاد صيغة دولية للتدخل في منطقة الشرق الأوسط . وتحاول واشنطن استدراج الناتو للعمل في العراق حيث حثت الحلف على افتتاح بعثة له في بغداد بالمنطقة الخضراء للإشراف على تدريب وتخريج قيادات عسكرية عراقية تتولى مهام تحقيق الأمن ، بعد أن وافقت قمة الأطلسي في اسطنبول بعد جهود مضنية بذلها الرئيس بوش على المساعدة في تدريب قوات الأمن العراقية خارج العراق ،وعلى الرغم من أن (١٦) دولة من الدول الـ (٢٦) أعضاء الحلف تشارك بقوات في العراق إلا أن تلك المشاركة لم تكن بموافقة قيادة حلف الناتو وإنما تمت بشكل منفرد.

الخاتمة

يبدو أن مسيرة التطوّر العملي لحلف الناتو منذ انهيار الاتحاد السوفيتي مطلع تسعينيات القرن الماضي أشبه بحقل تجارب لسلسلة حروب خاضها الناتو بدفع من الولايات المتحدة الأمريكية كان هدفها ترسيخ الهيمنة الأمريكية في ما عرف خلال تلك المرحلة بالنظام الدولي الجديد، وانتقلت تدريجيا من حرب الكويت ١٩٩١ إلى البلقان في منتصف التسعينيات في أوروبا ، ثم إلى أفغانستان عام ٢٠٠١ ، بزعامة أمريكية حتى وصلت إلى حرب احتلال العراق عام ٢٠٠٣، حيث تحولت المسيرة المشتركة إلى شرخ كبير بين ضفتي الأطلسي تجسدت بالمعارضة الفرنسية والألمانية والتركية للحرب الأمريكية على العراق وكان مجلس الأمن مسرحا" عكست تحت قبته العديد من دول الحلف تبرمها من الزعامة والهيمنة الأمريكية على الحلف ، خصوصا" بعد أن انساق فريق من دول الحلف ليشارك فيها دون أعلام الحلف وموافقته خصوصا" وأن تلك الخطوات اقترنت بالعمل على إخراج الحلف من أرضية النظام الدولي المتمثل في الأمم المتحدة وسائر ما يتفرع عنها ، وجاءت تصريحات الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك على هامش قمة واشنطن ١٩٩٩تأكيده أنّ تحرك الحلف رهن باستصدار قرار من مجلس الأمن الدولي، وتصريح المستشار الألماني السابق جيرها رد شرودر أن تحركات الحلف ستبقى في حدود إقليمية. ثم تجسد هذا الرفض من قبل دول رئيسية في الحلف المشاركة في حرب احتلال العراق، ومنع استصدار قرار أطلسي مشترك ، و تمويل مشترك أيضا لتلك الحرب ، حيث بات واضحا" لدى دول الناتو أنّ المشاركة في الحروب الأمريكية، سواء وُصفت بالوقائية أو بحروب الهيمنة أو بأي وصف آخر، لا يخدم مصلحة غربية أطلسية مشتركة ، بل مصلحة أمريكية انفرادية محضة، وأنّ المشاركة تحت علم الأطلسي ترسخ استخدامه أداة أمريكية، وليس استخدامه حلفا غربيا مشتركا لأغراض مشتركة ، وأنّ ما بدأ بأفغانستان وانتقل إلى العراق، يمكن أن يصل إلى دول أخرى، بما يجعل أوروبا الأقرب جغرافيا لها ، وهي المرشحة لتحمل العواقب الناجمة عن ذلك ، سواء على المستوى الاقتصادي والمالي . لذلك يبدو أن الحلف اليوم يقف على أبواب مرحلة تمرد أوروبي، بدأ في ساحة العراق، وعاد بآثاره إلى ساحة أفغانستان، فبعد المشاركة الأوروبية في الحرب، بدأت الدول الأوروبية المعنية ترفض بصورة مطّردة الاستجابة لطلبات قيادة الحلف، أن تزيد عدد قواتها، أو أن تعدّل مهامها، رغم المخاطرة بخسارة الحرب عسكريا ، واقترن ذلك بالمطالبة بتغيير صيغة التعامل مع أفغانستان، بفتح أبواب الحوار السياسي، وتنفيذ الوعود التي بقيت وعودا بشأن التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وهذا ما جعل قمّة (ريجا) الأطلسية في نهاية عام ٢٠٠٦م قمّة الإخفاق الأطلسي بامتياز .

سبار : مدينة ضمت أقدم مكتبة في العالم

أ . فؤاد يوسف قزانجي
اكاديمي

سبار هي ألان موضع (أبو حبة) . كانت مدينة رافدانية قديمة اعتبرتها النصوص السومرية إحدى المدن الخمس التي نشأت في العراق القديم قبل الطوفان و هي اريدو و شروباك و لاراك و بادتبيرا و سبار و ذلك منذ الإلف الرابع قبل الميلاد . تقع سبار sippar شمال بابل بـ (٤٠كم) تقريباً .(١) كانت سبار واقعة على ضفة الفرات الشرقية قبل أن يعدل النهر مجراه و تعتبر سبار توأم لبابل حيث كانت إلهتها تتماثل مع إلهة بابل و كانت تشارك في احتفالات بابل في بداية السنة الجديدة . كانت تقوم في وسطها زقورة عالية مدرجة ، ربما يبلغ ارتفاعها (٣٥م) و مشيدة على خمس مصطبات تدعى (يلنانا – زكا) . و قد جاءتنا من سبار نصوص عديدة أكثر مما جاءنا من أي موقع أخر و تعود الى العهود البابلية القديمة و الحديثة إضافة الى الرقم التي كانت تضم قطعاً أدبية . تعتبر مدينة سبار من ابرز المدن التجارية في بابل ، قدم إليها الكثيرون من البابليين بحماية (شمش) اله الشمس .
كان قد نقب في إطلالها اثنان من المنقبين هما هرمزد رسام الموصلي عام ١٨٨١ و شايل الفرنسي عام ١٨٩٢ حيث وجدا في مكتبة المدرسة التي تعود الى مكتبة السلالة البابلية الأولى ما بين (١٣٠٠٠٠ –١٥٠٠٠٠) رقيم يعود الى النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد ، نقلت الى انكلترا و فرنسا . و كان من ابرز علماء هذه المدرسة احد علماء الفلك و الرياضيات (كيدينو) و هو أول من قام بقياس الشهر القمري فحسبه (٢٩) يوما و (١٢) ساعة و (٢٤) دقيقة و (٣,٣) ثانية ، و بعد أكثر من إلفي عام اكتشف أن هنالك فرقاً في حساباته تبلغ ستة اعشار الثانية ! و يعتبر العثور على مكتبة المدرسة بحالة جيدة من أعظم الاكتشافات في العراق القديم و ذلك لكبر حجم الرقم الذي وجدت ، و لقدم المكتبة التي وجد الرقم فيها يمكن اعتبارها من أقدم المكتبات في العالم ، كما أن محتوياتها فاقت في الحجم ما وجد في مكتبة نينوى التي عثر فيها على ما يقرب من (٥٠٠٠٠) رقيم و مكتبة نيبور التي وجد فيها نحو (٣٣٠٠) رقيم . (٢)
و قد نقب في تلول (أبو حبة) أستاذان من قسم الآثار في جامعة بغداد في عامي (١٩٨٦-١٩٨٧) هما المرحوم الدكتور وليد الجادر و الدكتور خالد الاعظمي فوجدا مجموعات من الرقم الطينية في مكتبة الإله شمش حيث تشير الدلائل الآثارية أن الغرفة قد أعدت خصوصاً لحفظ الرقم الطينية من خلال الخصائص المعمارية التي كشفت عنها الجدران الداخلية للمكتبة . و كانت الرقم ذوات حجوم مختلفة حيث وجدت مركبة داخل رفوف أفقية و متوازية ، و مقسمة ، و يبدو أن هذا التقسيم قد خصص لموضوعات مختلفة منها جغرافية و نصوص دينية و أخرى معجمية و هذا يعني أنها تجمع بين اللغتين السومرية و الاكدية لغة أهل بابل . و على الرغم من أن مساحة المكتبة صغيرة إذ تبلغ ٤,٢٠ م X ٢٧٠ م طولاً و عرضاً ، إلا أن المكتبة كانت تنفرد بترتيب رقمها أذا احتوت على (٥٦) رفاً و كل رف يضم زهاء خمسين رقيماً تتضمن نصوصا تعود الى (٤٠) قرناً مضت ، منها رقيم باسم (زبايا) ملك سبار (٣) الذي حكم لمدة ثمانية أعوام وذلك في منتصف القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، و رقيم آخر قام بترجمته الدكتور خالد الاعظمي في الحال . فوجد فيه بضعة أبيات تعود الى الإلهة نانشة إحدى الإلهات الرئيسة في لكش ، تقول : أيتها الإلهة نانشة ..... السيدة المبجلة ،
سيدة الملك العظيم زبايا ..... محبوب الإلهة ، الذي أوصل الماء الى قناة (الإله مردوخ) العظيمة ، من خلال جدول يمتد طويلاً . (٤)
و من الجدير بالذكر أن احد هذه الرقم يحوي نصاً تاريخياً يشير الى السنة السابقة من حكم الملك البابلي (ادد -ايلا- ادنا) الذي حكم خلال الحقبة المحصورة بين (١٠٥٧-١٠٤٦ق. م) و أن هذا الاكتشاف يحدد فترة مهمة من فترات الإمبراطورية البابلية . كما عثر في الموقع نفسه على عدد من المسلات المحتوية على كتابات ملكية . كان لمدينة سبار سور قائم الزوايا له عدة أبواب ممتدة من الشمال الى الجنوب بناه سرجون الاكدي حول المدينة مربعة الشكل . يبلغ طوله (١٢٠٠م) و عرضه (٨٠٠م) و يبلغ ما تبقى من ارتفاعه أكثر من سبعة أمتار . و قد جدد أبنية المعابد و خاصة معبد (أي –ببار) أو اوتو اله الشمس الملك نرام سين حفيد سرجون الاكدي و رابع ملوك الاكديين الذي قضى على القبائل الكوتية التي احتلت شمال شرق العراق . كما أعيد بناء سور المدينة بأحكام في زمن الملك البابلي –الكلدي نبوخذ نصر الذي أضاف إليه ابراجاً للمراقبة ، و قد كانت سبار مدينة مقدسة التي كان يخشى عليها من هجمات الميديين . ويذكر الآثاري وليد الجادر أن سبار لا تبعد كثيراً عن مدينة (أكد) عاصمة الإمبراطورية الاكدية و التي قد تكون موجودة على مقربة من مدينة اليوسفية الحالية . و قد ظلت مدينة سبار مأهولة حتى القرن الرابع قبل الميلاد .

مكتبة سبار

المصادر و الهوامش
(١) قزانجي ، فؤاد يوسف . المكتبات في العراق منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر . بغداد : دار الشؤون الثقافية ، ٢٠٠٠ (ص ٢٩ -٣١).
(٢) Kazanchi , Fouad Y. Sumerian Library – A Remarkable Find . The Baghdad Observer . 11 / 5 / 1986 (p.6)
(٣) زبايا في الأصل أسم اله كان يعبد في بلاد سومر و خاصة في مدينة كيش و هو مساو لنينورتا اله العاصفة و ابن انليل الذي أطلق عليه الأشوريون ادد آله للعاصفة و الأمطار و اتخذته الأقوام السامية في الهلال الخصيب ألها باسم حدد .
(٤) القيسي ، نوري حمودي . اكتشاف مكتبة و رقم طينية في مدينة سبار . جريدة الجمهورية ١٩٨٦ . و كذلك قيس لفتة مراد . في نفس الجريدة كنز الطين لأقدم مكتبة في العراق .